صعوبات التعلم

في ضوء

النظريات

الفصل الثالث

نظريات صعوبات التعلم

ما المقصود بالنظرية؟

- **ما المقصود بالنظرية؟**

- كثير من عامة الناس وبعض المثقفين يفهمون كلمة "نظرية على أنها تطبيقية كبيرة. ويبدو هذا الفهم واضحا فيما يتداولونه بينهم في حياتهم اليومية من عبارات عابرة مثل قولهم : هذا شيء نظري ،أو هذا مجرد كلام نظري ليس له مدلول حقيقي في الواقع . وعلى النقيض من هذا المفهوم السطحي لكلمة "نظرية" فإن المعنى العلمي السليم لهذه الكلمة يفيد بأن النظرية تحاول تحري الظواهر والكشف عن طبيعتها حيث تضع الأساس لإيضاح العلاقة بين الأسباب المؤدية إلى الظواهر والنتائج المترتبة عليها وعلاقتهما بالمتغيرات وعلاقة تلك المتغيرات ببعضها البعض وعندما تثبت البحوث والدراسات العلمية صحة النظرية وصدقها فإنها تحمل قيمة تطبيقية كبيرة حيث تصبح قاعدة تبنى عليها النماذج البحثية والتطبيقية

مراحل تكوين النظرية

- تبدأ المرحلة الأولى من تكوين النظرية بوضع افتراض ما حيث يكون لدى الباحث شعور معين أو فكرة مبنية على أساس من خبراته السابقة أو مشاهداته أو معلومات توفرت له من مصدر آخر . وتتم صياغة الافتراض بشكل يمكن الباحث

- نظريات صعوبات التعلم
- تفسير ظواهر التعلم وكيفية حدوثه (أي التعلم) لدى الانسان
- تعتبر النظرية أساسا تنبني عليه اساليب التدريس وطرائقه
- تساعد في اختيار وتقييم المواد المستخدمة في التدريس وكذلك الطرق والاساليب ونوعية وسائل الايضاح
- من جهة فان للإلمام بالنظريات المتعلقة بصعوبات التعلم فوائد شتى من بينا:
- انها تساعد في فهم الاساس النظرية التي بنيت عليها مفاهيم صعوبات التعلم
- انها تلقي الضوء على انواع وطبيعة الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في تعلمهم
- تساعد في تزويدنا بالأساس التي تبني عليها عملية التدخل التربوي واختيار الاساليب والاستراتيجيات المناسبة
- تقود البحوث العلمية التي يتم اجراؤها في مجال صعوبات التعلم
- الحاجة الى الالمام بصعوبات التعلم
- هل من الضروري الالمام بالنظريات التي تم على اساس منها بناء وتطوير مجال صعوبات التعلم؟ وما الذي يمكن ان نجنيه من المعرفة بتلك النظريات ؟

- تساؤل طالما تردد على ألسنة كثير من المعلمين و الدارسين و المتخصصين في مجال صعوبات التعلم .
- و في الاجابة عن هذا التساؤل نود أن نؤكد منذ البداية أن الوقوف على النظريات التي طرحها العلماء المختصون في صعوبات التعلم سوف يساعدنا على فهم افضل للمشكلات التي يواجهها الطلاب الذين يعانون من تلك الصعوبات و سيمدنا بالأسس التي تقوم عليها سبل العلاج و طرائق التدريس المستخدمة في التعامل مع ما يواجهونه من صعوبات او يعانونه من مشكلات و بدون الوقوف على تلك النظريات سوف تقضي بنا عملية التدريس الى السير في طريق وعرة لا تنتهي بنا الى غاية محددة .

- و لإيضاح ذلك دعنا نتخيل اننا قمنا بزيارة لإحدى المدارس حيث توجد بها غرفة مصادر تضم مجموعة من التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في تعلم المواد الدراسية مختلفة او من مشكلات سلوكية تؤثر على تعلمهم و تحصيلهم الدراسي .
- فقد نجد هؤلاء التلاميذ يقومون جميعا باستخدام احدث ما توصلت اليه تكنولوجيا المعلومات و الحاسب الالي في مجال التعليم و التعلم كما قد نجد المعلم المسئول عن هذه الغرفة قد قام بتوفير مجموعات من البرامج المسجلة على اقراص مضغوطة و المواد المؤلفة من صناديق متنوعة و ماكينات مختلفة و وسائل ايضاح متقنة الصنع الى غير ذلك من المواد و البطاقات و الصور الايضاحية .

- و قد نجد كل هذه المواد قد تم ترتيبها على نحو متقن جذاب و بشكل يغري التلاميذ بالتعلم و الاقبال بلهفة و تشوق على ما يريدون تعلمه .
- مثل هذه الغرفة التي تم ترتيبها و تنسيقها على هذا النحو الذي اوضحناه و بما اشتملت عليه من معدات و ادوات و اجهزة و افلام تعليمه تثقفية و شرائح ايضاحية مصورة و اوراق شفافة للنسخ و الرسم و اوراق مسطرة و حاسبات اليه و تدريبات لتقوية العضلات و تمرينها فضلا عن الكتب المدرسية المقررة كل ذلك يمثل برنامجا تعليما قامت احدى دور النشر المختصة بإعداده و تصميمه بحيث يمكن للمعلم و المربي استخدامه في علاج المشكلات التعليمية التي يعاني منها ذوو صعوبات التعلم من ناحية و في الارتقاء بمستوى التلاميذ الذين لا الذين يعانون من صعوبات التعلم من ناحية اخرى

- و قد اكد الناشر المسئول عن بناء هذا البرنامج و تصميمه و اعداده انه قد بني على اساس من نتائج مجموعة من البحوث و الدراسات التي اجريت على نحو مكثف و التي دعمها بأحدث البراهين العلمية التي توصل إليها كما حرص هذا الناشر على تزويد مستخدم البرنامج "بدليل المعلم " الذي يشرح له طريقة السير في الدرس خطوة بخطوة و يصف بالتوجيهات و التعليمات المفصلة و الدقيقة كيفيمكنه القيام باستخدام الاجهزة و العدات و الادوات التي يشمل عليها هذا البرنامج .

- و من هنا فإننا نجد ان كل شيء اذن قد تم اعداده و شرحه بعناية فائقة و دقة بالغة اللهم الا شيئا واحدا الا و هو ان مصمم هذا البرنامج لم يذكر للمستخدم السر في ضرورة قيام التلميذ بعمل ما او نشاط معين على النحو الذي اوضحه في "دليل المعلم " و بالطريقة التي تم تحديدها فيه . و بعبارة اخرى : لم يوضح معد البرنامج النظرية التي بنيت على اساس منها انشطة البرنامج و طرق ممارستها بل انصب كل اهتمامه على حشد البرنامج بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا تعليم و بالتالي فإنه بإغفاله ذكر هذا السر او تلك النظرية قد شغل المعلم او مستخدم البرنامج عن الاستنارة بضوء تلك النظرية المحتجب خلف تلك التكنولوجيا

- و قد تكون الاجابة عن التساؤل في ضرورة القيام بنشاط ما على نحو معين قد وردت بصفة محددة في "دليل المعلم " حيث اقتصرت على ايضاح ضرورة انجاز التلميذ لهذا لنشاط مرتين في اليوم لمدة ثلاثة أسابيع قبل ان ينتقل مثلا الى الكتاب التالي (او قل الجزء الثالث من البرنامج) لاستخدامه مع جهاز الكمبيوتر في القيام بأنشطة سمعية بصرية و حركية مثلا و لكن بالرغم من ذلك فإن هذا الايضاح سيظل غامضا لا يكتشف عن النظرية التي بني البرنامج على اساس منها .

- ان النقطة التي نهدف الى ايضاحها من عرض تلك الصورة الساخرة التي رسمناها في مخيلتنا لتلاميذ هذه الغرفة و هم منهمكون بعمق في انجاز و استخدام تلك التقنيات التعليمية دون ادراك المعلم للأساس النظري الذي بنيت عليه – ان هذه النقطة – تتمثل في ان ذلك يعد اضاعة للوقت و اهدار لجهد كل من المعلم و تلاميذه دون ان يكون هناك هدف حقيقي نسعى الى تحقيقه لهؤلاء التلاميذ من وراء تنفيذ هذا البرنامج .

- ان طلاب كلية التربية عموما والتربية الخاصة خصوصا – والذين هم جميعا معلمو المستقبل – في غمرة حماسهم للقيام بشيء ما غالبا ما يتساءلون عما اذا كانت هناط ضرورة أو حاجة للالمام بنظريات التعلم وهم بهذا التساؤل انما يوحون الينا بأن ما يحتاجون اليه في حقيقة الامر و واقعه هو الوقوف على التدريس الفعالة والاستراتيجيات الحديثة والتقنيات الواقعية العلمية التي يمكنهم بواسطتها مساعدة تلاميذهم على التعلم .

- و لكننا نجيب على ذلك التساؤل بأن الوقوف المعلمين على تلك الطرق و الاستراتيجيات و التقنيات على الرغم من ضرورته و اهميته بالنسبة لهم الا ان ما هو اشد ضرورة لمعرفتهم و ما هو اجدر في الحقيقة باهتماتهم يتمثل في الوقوف على افضل تلك الطرق و اكثرها فعالية لمساعدة تلاميذهم على التعلم و في ادراك السبب كذلك في فعاليتها و كفاءتها دون غيرها من الطرق .

دور النظريات في مجال صعوبات التعلم

- يتوقف فهمنا لمجال صعوبات التعلم بل و مشاركتنا الفعالة في علاج تلك الصعوبات على فهم النظريات التي تم تكوين هذا المجال على اساس منها اذ تزودنا تلك النظريات بوجهات نظر العلماء و آرائهم التي تمكننا من تدارس الفروع المختلفة لهذا الحقل و تفسيرها كما تساعدنا في تصنيف و تقييم ذلك الطوفان الهائل من المواد التعليمية الجديدة و التقنيات المبتكرة الحديثة و الأجهزة و المعدات و طرق التدريس الى جانب الوسائل الفنية الحديثة التي يواجهها المعلمون و المربون في مجال التربية الخاصة عموما و في حقل صعوبات التعلم خصوصا

- و في هذا الاطار فإنه يقصد بتلك النظريات ان تكون بيانات او عبارات ذات اثر فعال و لبست –كما يقول جون ديوي- مجرد افكار تم صبها و تجميدها في قواعد ثابتة لا تتغير و لا تتبدل و كأنها حقائق لبدية كما انها ليست برامج يتم التمسك بها و التقيد بمضمونها و كأنها نصوص دينية مقدسة فالنظرية يجب ان تكون على الاصح بمثابة دليل يرشدنا و يقودنا نحن الربين و المعلمين الى تنظيم معارفنا و ترتيب افكارنا بشكل منهجي كما ينبغي ان تخدمنا كمفهوم قابل للتغيير و التعديل و التطوير في ضوء كل جديد يتم التوصل اليه في مجال المعرفة و بناء النظرية من خلال هذه العملية يمكننا من التفريق بين ما نعرفه مدعما بالباراهين و الادلة القاطعة و ما نصدقه او نؤمن به او نستنتجه دون ان يكون معتمدا على اساس علمي يبرره و من هنا فإن "جون ديوي" يؤكد ان النظرية اعظم واقعية و عملية من كل الاشياء

الهدف من النظرية

- انطلاقا مما اوضحناه اعلاه فإنه يمكننا القول بأن النظرية الجيدة تهدف الى التوفيق بين الاشياء و الظواهر التي نلاحظها في العالم الواقعي كما تهدف الى ترتيبها على نحو منطقي متماسك بحيث تكتسب تلك الاشياء و الظواهر معنى واقعيا و مغزى عمليا كذلك فإن النظرية الجيدة تتميز بالإجرائية العملية practical أي بقابليتها للتطبيق و الاستخدام الفعلي حيث تمدنا بدليل يرشدنا و يقودنا الى اتخاذ اجراء ما من الإجراءات كما تستحث في الباحثين و الدارسين الدافع الى ان يبلغوه شأوا (مدى) أبعد فيما يقومون بإجرائه من بحوث و دراسات او فيما يتم بناؤه من نظريات اخرى بالإضافة الى ما تقوم به من دور حيوي و هام في توضيح عمليات التفكير و تفسيرها و تنظيمها .

- و اذا لم يتم التقييم النفسي و العلاج التربوي في حقل صعوبات التعلم على اساس من نظرية معينة فإن القرارات المتخذة المنبثقة عنهما سوف تكون مبنية على اساس من الايمان بما يقوله المجربون او الايمان بالمبدئ و المواعظ المدركة بالحدس (التخمين) والبديهة او على اساس من قرارات تربوية اشبه ما تكون بالعبارا الخطابية الجوفاء الخالية من المضمون و التي عادة ما يتخذها قادة الاحزاب السياسة شعارا لهم في تنافسهم الشديد وصراعهم المحموم ضد بعضهم البعض في المحافل الانتخابيه و البرلمانية.

- و من المعلوم ان لكل حقل من حقول المعرفة عددا من المفاهيم و الرؤى والافكار التي اسهم بها المنظرون السابقون في بناء تلك الحقول كل في مجال اختصاصه و بالتالي فإن ما نقوم بإنتاجه من افكار أو بنائه و اعداده من خطط و برامج انما يتم على اساس من النظريات السابقة التي تعتبر دعامات اساسيه لكل ما تنتجه او نبنيه حتى و ان ادى ذلك الى تعديل تلك النظريات تغييرها و اذا كان لحقل صعوبات التعلم ان يظل حقلا ناميا و حيويا للدراسة فإنه لابد من اناء و تطوير نماذج و انساق (انظمة) من المفاهيم و الافكار التي يمكننا الاعتماد عليها في علاج تلك الصعوبات

◀ انواع النظريات

◀ ميزت سوانسن بين نوعين من النظريات حيث ترى ان هناك من النظريات ماهو **اساسي** و منها ماهو **تطبيقي** و قد اكدت سوانسون انه لا غنى للعلماء و الباحثين المختصين عن هذين النوعين في وضع و بناء اساس علمي متين لحقل صعوبات التعلم

١- و يقصد بالنوع الاساسي من النظريات ذلك الاطار الفكري الذي يضم بين اركانه مجموعه من المفاهيم و الافكار الأساسية التي يمكننا من خلال فهمها و استيعابها تبسيط الظواهر المعقدة (المركبة) و التخفيف من تعقيدها (تركيبها) و الاقلال مما تضمنه من عناصر و اجزاء بحيث تصبح تلك الظواهر معلومات مجزأة يمكن فهمها و التعامل معها .

- ٢- من جانب آخر فإن هناك من الدراسات و البحوث العلمية التي يتم إجراؤها في اطار من النظرية الاساسية ما لا يحمل في بعض الاحيان أي امكانية لتطبيقه و استخدامه بشكل مباشر في العملية التعليمية و في هذه الحالة تقوم النظرية التطبيقية بترجمة مضمون النظرية الاساسية و تحويله الى ممارسة و تطبيق تعليمين .(ففي العلوم الطبيه البيولوجية [الاحيائيه] مثلا قد تتعامل النظرية الاساسية و البحوث العلميهمع عناصر و مركبات الخليه الانسانيه فتأتي النظرية التطبيقية و البحوث العلميه التي تجري في اطارها لتقوم بترجمة و تحويل ما لدينا من معرفة اساسية بتلك العناصر و المركبات الى ممارسات تطبيقيه عمليه للوقايه من المرض ما او علاجه)

- و تؤكد سوانسون ان التمييز بين هذين النوعين من النظريات على هذا النحو يؤدي الى التنسيق بين الجهود البحثية من خلال الربط بين ما يتم اجراؤه من بحوث و دراسات في اطار النظرية التطبيقية و ما يتم التعرف عليه من مفاهيم و افكار في اطار النظرية الأساسية .

- ان صياغة الاساس النظري لاي اجراء تقييمي تشخيصي او اسلوب تعليمي تعد في الواقع نظريه في التعليم او التعلم . و تجدر الاشارة الى انه يمكن للنظريات ان تتغير من خلال القيان بتطويرها و تعديلها فأي نظرية سائدة او شائعة يمكن تحديدها و الاعتراض عليها كما يمكن تحويرها و تعديلها او تقويتها و تدعيمها من خلال قيام الباحثين و الممارسين المطبقين بالتحقق مما تحمله النظرية من صلة وثيقة بالقضية او القضايا التي تشغل اهتمامهم و مما تحققه لهم من فوائد فإذا تم تحوير النظرية و تعديلها فإنها ستؤدي بالتالي الى تغييرات في عمليات التقييم بل و في الممارسات و التطبيقات التعليمية كذلك

- و خير شاهد على ذلك ما قام به المختصون عبر السنوات العشرين السابقة او ما يقاربها من بحث و تمحيص و تقص للمشكلات المعقدة (المركبة) التي زخربها مجال صعوبات التعلم على امتداد تلك الفتره مما اعتبره في الواقع تطويرا و تعديلا للنظريات السائدة قبلها حيث اسفر عن عديد من التغييرات المهمه في كل من النظريات و التطبيقيات التعليمية الناشئة عنها

- و كما ذكرت ليرنر فإنه يمكن القول اذن بأن النظرية تمدنا بنظام اطار ابداعي يساعدنا على فهم افضل للمشكلات بالغة التعقيد (التركيب) التي يعاني منها الاطفال في تعلمهم كما يساعدنا على مواجهة كثير من التحديات التي يزخر بها مجال صعوبات التعلم و بالاضافة الى ذلك فإن النظريات التي استحدثت في هذا المجال كان لها –و لا يزال- ابلغ الاثر في الاستخدامات و التطبيقات التربوية التي تتم في مجالات اخرى من التربية سواء الخاصة منها او العامة